عدد خاص بعلم اللغة الاجتماعي

Special issue on sociolinguistics

مجلة كلية اللغات

Faculty of Languages Journal

مجلة علمية محكمة فصلية تصدر عن كلية اللغات جامعة طرابلس

A Scientific Journal Issued by the Faculty of Languages, University of Tripoli, Libya

Special issue
September 2023

رقم الإيداع 167/ 2015 دار الكتب الوطنية بنغـازي

ISSN : 2790-4016

لغة الحوار في قصة موسى والعبد الصالح – عليهما السلام-في سورة (الكهف): دراسة تحليلية في ضوء علم اللغة الاجتماعي.

د. وردة إبراهيم سليمان

كلية التربية قصر بن غشير، قسم اللغة العربية، جامعة طرابلس

W.soliman@uot.edu.ly

الملخص:

تتناول هذه الورقة البحثية تحليل الدلالات الاجتماعية للحوار في قصة(موسى والعبد الصالح)- عليهما السلام-، من سورة (الكهف)؛ وذلك من خلال تتبع المقامات الاجتماعية، وبعض الوسائل اللغوية التي نسجت هذا الحوار بين الشخصيات، فكشفت- هذه الدراسة -عن البعد الاجتماعي، والثقافي لدى أهل القرية، وأصحاب السفينة، والمَلك الظالم، وبعض الأساليب والتراكيب والسياقات التي بيّنت بعض الدلالات النفسية، و الاجتماعية؛ وسبب اختيار هذا الموضوع: أنّ سورة (الكهف) زخرت بقصص، وأطولها قصة موسى والعبد الصالح- عليهما السلام-، واحتوت على عناصر فنية، من حوار، وشخصيات، وأماكن قليلة، ومشاهد وأحداث، ومقامات اجتماعية وثقافية.

ABSTRACT

This research paper deals with the analysis of the social connotations of the dialogue in the story of (Moses and the good servant) - peace be upon them - from Surat (Al-Kahf), by tracing the social denominations, and some linguistic means that woven this dialogue between the characters, so this study revealed the distance The social and cultural among the villagers, the owners of the ship the unjust king, and some methods, structures and contexts that showed some psychological and social indications; The reason for choosing this topic: Surat Al-Kahf is full of stories, the longest of which is the story of Moses and the righteous servant - peace be upon them - and it contained artistic elements, such as dialogue, characters, a few places, scenes and events, and social and cultural shrines.

الكلمات المفاتيح: حوار موسى– الفتى– العبد الصالح – علم اللغة الاجتماعي– التحليل الدلالي.

المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آلة وصحبه أجمعين. أمَّا بعد: فالإنسان كائن اجتماعي يعيش مع غيره في مجتمع إنساني، وظهرت الحاجة إلى وسيلة للتواصل بين أبناء المجتمع الواحد، فكانت اللغة التي تحققت في الفعل الكلامي، فـــ " الحدث الكلامي هو عملية حدوث التفاعل اللغوي بإحداث الأصوات الكلامية لتكوين كلمات أو جمل لنقل المشاعر والأفكار من المتكلم إلى السامع"[1] واللغة والكلام سلوك يعبر عن خبرات اجتماعية، كما قال ابن جني(ت: 392ه): " أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"[2]، واهتمّ الدرس اللساني الحديث منذ أواخر الخمسينيات من القرن الماضي اهتماما كبيرا بدراسة العلاقة بين اللغة ومحيطها الاجتماعي الثقافي وذلك؛ لدور اللغة المهم.[3] ومن هنا برز علم اللغة الاجتماعي الذي ظهرت له تعريفات عديدة عند اللغويين منها: أنّه علم يبحث التفاعل بين جانبي السلوك الإنساني، واستعمال اللغة والنظام الاجتماعي للسلوك... [4]، وبأنّه دراسة اللغة من حيث علاقتها بالعوامل الاجتماعية مثل: الطبقة الاجتماعية، والمستوى التعليمي، ونوع التعليم، والعمر، والجنس، والأصل العرقي.[5] و أكّد القدامى والمحدثون على أهمية البحث في الدلالة الاجتماعية، وسُمّيت عند القدامى بـــ (المقام)، واستعمل القدامى مصطلحي (المقام و الحال) مترادفين، يقول الخطيب (القزويني): (ت: 739ه) " مقتضى الحال مختلف، فإنّ مقامات الكلام متفاوتة، فمقام التقديم يباين مقام التعريف، ومقام الإطلاق يباين مقام التقييد، ومقام التقديم يباين مقام التأخير، ومقام الذكر يباين مقام الحذف... " [6] و جاء المحدثون بنظرية السياق التي تتعامل مع اللغة بجوانب متعددة، فبيّن (أولمان)

أنّ السياق " ينبغي أن لا يشمل الكلمات و الجمل الحقيقية السابقة واللاحقة فحسب، والقطعة كلها، والكتاب كله، كما ينبغي أن يشمل- بوجه من الوجوه- كل ما يتصل بالكلمة من ظروف وملابسات، والعناصر غير اللغوية المتعلقة بالمقام الذي تنطق فيه الكلمة لها هي الأخرى أهميتها البالغة في هذا الشأن " [7]

إذن السياق هو عنصر في غاية الأهمية، بقسميه السياق اللغوي أو المقالي والسياق غير اللغوي أو المقامي، و يعتمد القسم الأول: على اللغة في حد ذاتها ومستوياتها الصوتية والمعجمية والصرفية و النحوية، ويرتكز القسم الثاني: على المشاركين في الخطاب، والظروف المحيطة بالخطاب، ونوع الخطاب؛ لذلك " ومثلما دعا علماء اللغة الاجتماعيون إلى دراسة النشاط الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والثقافي، وغير ذلك من مظاهر الحياة الإنسانية على الأسلوب اللغوي... فإنّهم من جهة ثانية قد دعوا إلى دراسة الموقف الكلامي المعين، ومناسبته، وظروفه في الاستعمال اللغوي، ويقتضي ذلك ملاحظة الكلمات والتعابير التي يستعملها المتكلم في مواقف الفرح، أو الحزن أو الاستقبال أو التوديع، أو في مواقف تعليمية أو أدبية، أو سياسية أو دينية، وغير ذلك من المواقف " [8]

وعليه فإنّ هذه الدراسة، مجالها قصة [9](موسى والعبد الصالح)- عليهما السلام -، من سورة (الكهف)[10]، والتي من خلالها تسعى إلى إبراز الدلالات الاجتماعية والنفسية، والموقف الكلامي للمتحاورين، وتحليل بعض الوسائل اللغوية التي ساعدت في بيان ذلك، وهو من مجال علم اللغة الاجتماعي.

أولا: حوار موسى – عليه السلام- وفتاه: والآيات المبينة لهذا الحوار: من الآية: 59- 81.

الحدث والمشهد:

حادثة الحوت، وبلوغ مجمع البحرين. جاء حدث انسراب الحوت في البحر في قوله – تعالى-: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴾ [11] وفي هذا الحوار دلالات اجتماعية تُصور خبرات المجتمع الذي عاش فيه موسى والعبد الصالح -عليهما السلام- فهم يعملون بالصيد البحري، وفي قوله – تعالى- على لسان موسى – عليه السلام-: ﴿ ءاتِنَا غَدَاءَنَا﴾[12]، فيدلّ على اتّخاذ الحوت زادا في الأسفار في الغذاء والعشاء.

والمكان: هو ضفّة البحر الذي وعد فيه موسى لقاء العبد الصالح (الخضر) -عليهما السلام-، وهو مجمع البحرين.[13]

والزمان: وقت الظهر؛ لأنّ موسى-عليه السلام- وفتاه جاوزا المكان، ثمّ أصابهما التعب والجوع الذي ذكَّرهما بالغداء.

والشخصيات: الذي دار الحوار الثنائي بينهما: النبي موسى – عليه السلام-، وفتاه.

والفتى: قيل: هو النبي يوشع بن نون، وقيل: هو خادمه و تابعه، وقيل: كان يأخذ منه العلم.[14]

وتآلفت الوسائل اللغوية في إظهار الدلالات الاجتماعية، ونسج الحوار القصصي بإيجاز واختصار، ومن بين هذه الوسائل، الجُمل المحكية عن القول، والتي دارت بين موسى– عليه السلام-وتابعه.

وجملة مقول القول[15]: هو الكلام الواقع بعد ما يفيد القول، مثل: قال، قلت، يقول...، ولا يكون إلا جملة، وهو في محل نصب، مثل: قوله تعالى: ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ الله ﴾[16]، وجاءت الجمل المحكية عن القول، جملا متنوعة بين الاسمية والفعلية والمثبتة والمنفية، وأبرزها الفعلية لتناسب الحركة و التجدد، لا الثبوت، كما في قوله- تعالى-:

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾[17]، فهذه الرحلة تبدو محفوفة بالمخاطر وغير واضحة المعالم عند فتى موسى- عليه السلام-؛ لذلك " استعظم هذه الرّحلة وخشي أَنْ تنالهُما فيها مشقَّة تعوقُهُما عن إتمامها، أو هو بحيث يستعظمها للعلم بأنَّها رحلة بعيدة " [18] وأشارت الآية الكريمة إلى شدّة إصرار موسى - عليه السلام- على لقاء العبد الصالح حيث جعل لسيره غاية وحيدة، هي بلوغ مجمع البحرين حيث العبد الصالح، أو السير أحقابا زمنية لا نهاية لها، فجاءت الجملة المحكية عن القول جملة اسمية في قوله – تعالى-:﴿ قالَ ذلِكَ ما كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلى آثارِهِما قَصَصاً ﴾[19]؛ لأنّها تدل على الثبوت، فالسياق بَيّن أنّ المبتغى من هذه الرحلة، هو لقاء العبد الصالح في المكان الذي يفقد فيه الحوت.

وأفادت دلالة اجتماعية، في أنّه ينبغي الحرص على التعلّم، ولو كان المُعلم أقلّ مرتبة من المُتعلم.

وتلعب الضمائر دورا مفصليا يتحكم في المشهد السياقي للنص، والملموس أنّ لها أثرا بالغا في بنيته؛ إذ تقوم بترجمة الدلالات الغائبة في الخطاب، من أجل ذلك لا يمكن إغفال أثرها في لغة السرد، لكونها المسؤولة عن انسجام النص واتساقه مع بعضه البعض، ومثال ما جاء في الآيات الكريمة، ضمير الغائب في(لفتاه)، وضمير المتكلم في الكلمات(أبرح- أبلغ- أمضي)، جميعها تحيل إلى شخص واحد وهو موسى- عليه السلام-، و ضمائر المتكلم في (غذاءنا- لقينا- سفرنا)، و ضمير المخاطب في (آتنا)، فهي منقولة عن موسى- عليه السلام-.

و ضمائر المتكلم في(آوينا- فإنّي- نسيت)، فهي منقولة عن فتى موسى- عليه السلام- وكذلك ضمائر الغائب في (أنسانيه- اذكره- اتّخذ)، والمخاطب في (أرأيت) تحيل إلى فتى موسى- عليه السلام-.

وجاءت الدلالة الصوتية كوسيلة لغوية في التعبير عن المقام، والموقف الكلامي، وهي " الدلالة المستمدة من طبيعة الأصوات فإذا حدث إبدال أو إحلال صوت منها في كلمة بصوت آخر في كلمة أخرى، أدّى ذلك إلى اختلاف دلالة كل منهما عن الأخرى " [20] ومن هذه الدلالات تكرار الصوت في الآيات وعلاقته بالمعنى، كما في صوت (الباء)، والذي وصفه علماء الأصوات، بانّه " صوت شديد مجهور، يتكون بأن يمرّ الهواء أولا بالحنجرة ـ فيحرك الوترين الصوتيين، ثمّ يتخذ مجراه بالحلق ثم الفم، حتى ينحبس عند الشفتين منطبقتين انطباقاً كاملاً، فإذا انفرجت الشفتان سمعنا ذلك الصوت الانفجاري الذي يسمى الباء، فالنطق بالباء تنطبق الشفتان أولاً حين انحباس الهواء عندهما، ثمّ تنفرجان فيسمع صوت الباء. " [21]

فجاء صوت (الباء) في فواصل الآيات الكريمة، في قوله – تعالى-: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا* فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا* فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا* قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴾[22]، و تلاءمت صفتا الشدّة و الانفجار في صوت(الباء) مع سياق الآيات، فـ "حقبا " دلّت على شدّة إصرار موسى– عليه السلام- على لقاء من هو أعلم منه (العبد الصالح)، أو السير أحقابا زمنية مبهمة، ودلّت لفظتا " سَرَباَ " و" عَجَباَ " على شدّة التعجب من عودة حياة الحوت ورجوعه إلى البحر، و أشارت كلمة " نصبا " إلى شدّة التعب الذي لقيه موسى- عليه السلام-، وتابعه في هذه الرحلة.

ثانيا: الحوار بين موسى والعبد الصالح – عليهما السلام-. والآيات المبينة لهذا الحوار: من الآية: 70-81.

الأحداث والمشاهد:

1-مشهد ركوب السفينة وخرقها.

2- مشهد قتل الغلام.

3- مشهد هدم الجدار ثم إقامة بنائه مرة أخرى.

المكان: متن السفينة- القرية.

وجاءت حادثة خرق السفينة في قوله – تعالى-: ﴿ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا* قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا* قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴾ [23]

والشخصيات:

الذي دار الحوار الثنائي بينهما: النبي موسى، والعبد الصالح– عليهما السلام-. وقيل: العبد الصالح هو: الخضر- عليه السلام-، والبعض يرى أنّه ليس الخضر وإنّما عالم آخر، وقيل: هو عبد صالح [24]، والصحيح أنّه الخضر، وأخبر عنه النبي صلى الله عليه وسلم.[25]

وحوار موسى والعبد الصالح، حوار قصصي طويل في جمل موجزة، وتضمّن هذا الحوار جانبا من الجوانب الثقافية والدلالات والممارسات الاجتماعية للمجتمع في ذلك الزمن، فبيّنت حادثة خرق السفينة ممارسة الصيد وركوب البحر، وكشفت عن طبقات اجتماعية، كما في طبقة:(أهل السفينة)، المساكين الضعفاء الشرفاء، الذين يعملون بالصيد ويبيعون ويأكلون، فرزقهم كفافا، و يقابلها:(طبقة حاكمة)، يمثلها: الملك الظالم الذي يعني التسلط ونهب أرزاق المساكين، وعدم إقامة العدل بين الرعية فهو" ملك بلادهم بالمرصاد منهم ومن أمثالهم يُسَخَّر كل سفينة يجدُها غصبا، أي دون

عِوَض. وَكان ذلِك لنقل أمور بناء أو نحوه مما يستعمله الملك في مصالح نفسه. " [26]
وفي قوله - تعالى-: ﴿ قالَ لَا تُؤاخِذْنِي بِما نَسِيتُ وَلا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْراً ﴾ خرج النهي (لَا تُؤاخِذْنِي)، و(لا تُرْهِقْنِي) عن معناه الأصلي وهو الأمر بترك الشيء إلى التعطُّف والتماس عدم المؤاخذة. [27]

و أخرج الكلام في سياق النهي عن المؤاخذة بالنسيان، فيوهمه أنّه قد نسي؛ ليقدم عذره في الإنكار، ويُعدُّ هذا الأسلوب من معاريض الكلام التي يُتّقى بها الكذب، مع إدراك الغرض، وهو على سبيل التورية. [28]

ويلحظ في الآية سياق اجتماعي وثقافي، وهو الحث على الصبر والتأدب مع من يُؤخذ عنه العلم.

ومشهد قتل الغلام، جاء في قوله –تعالى-:﴿ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾[29]
وكشف حادثُ قتل الغلام: عن الدلالات الاجتماعية وعن نموذج من السلوك الاجتماعي، وهو سلوك الغلام الذي سيُرهق والديه طغيانًا وكفرًا، وعليه فساد النَّشء أو الأسرة، والسلوك الذي أنكره موسى -عليْه السلام- ما كان من العبدِ الصالح بناء على ما يحكم السلوك الإنساني، المنظِّم لأحوال الناس والجماعات الإنسانيَّة.

وبيّنت الآية الكريمة مشهد هدم الجدار، وإعادة بنائه، في قوله-عزّ وجل: ﴿ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَو شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [30]
وأظهر حادث الجدارِ: عن سياق ومقام ثقافي واجتماعي ألا وهو مقام يُتم وضعف، فأقيم الجدار؛ حتى يسلم الكنز الذي تحته ولا ينكشف؛ حتى يكبر الغلامان اللذان كان أبوهما رجلاً صالحًا ويستخرجا كنزهما، وإقامة الجدار تدلّ أيضا على ممارسات

اجتماعية في المجتمع في ذلك الزمن، وهو حفظ الأشياء فلم يكن في ذلك الزمن خزائن لحفظ الأموال.

كما يدلّ استغراب موسى-عليه السلام- من بناء الجدار، عن فساد المجتمع؛ في بُخل أهل القرية وشُحّهم الذي منعهم من إطعام موسى والخضر-عليهما السلام-، فالعُرف والعادات – كما بيّن ابن عاشور- (ت: 1937م) هو أنّ" الضيافة كانت شائعة في الأمم من عهد إبراهيم عليه السلام وهي من المواساة المتَّبعة عند الناس. ويقوم بها من يُنتَدَبُ إليها ممن يمرّ عليهم عابر السبيل ويسألهم الضيافة، أو من أعدَّ نفسه لذلك من كرام القبيلة فإباية أهل قرية كلهم من الإضافة لؤم لتلك القرية " [31] وفي قوله عزّ وجلّ: ﴿ فَوَجَدا فِيها جِداراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقامَهُ ﴾، استعار الإرادة للجدار، على سبيل الاستعارة، أو على سبيل المجاز المرسل، بعلاقة تسبب إرادة انقضاضه وسقوطه؛ لقربه.[32]

والدلالة الاجتماعية تحقق الانسجام التام مع الدلالة النفسية في هذا الحوار القرآني في قصة موسى والعبد الصالح – عليهما السلام-، فمثلا ما يشعر به موسى- عليه السلام- من ضيق وعدم احتماله المنكر؛ لأنّه نبي ورسالة الأنبياء أنّهم ينكرون المنكر، فكان ذلك الحوار مخبرًا عن صعوبة الأحداث، وتأثيرها في نفس موسى– عليه السلام-، فلم يلتزم بالشرط الذي اشترطه عليه العبد الصالح، وأوضح الهدف في أنّ كل شيء قد تمَّ كان بمراد الله، فيقول الله- تعالى- :﴿ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ﴾[33]

وفي جُمل مقول القول على لسان العبد الصالح، جاءت جمل اسمية تدلّ على الدوام و الثبوت؛ لأنّ الأمور التي يحيكها أمور قطعية، فهي من أمر الله – تعالى- وأكّد جملة ﴿ إِنَّك لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْراً ﴾ بحرف (إنَّ)، وبحرف النفي (لَنْ)؛ " لمضمونها من توقع

ضيق ذرع موسى عن قبول ما يبديه إليه؛ لأنّه علم أنّه تصدر منه أفعال ظاهرها المنكر وباطنها المعروف. " [34]

واعتراضات موسى – عليه السلام- في هذا الحوار كلها دلالات نفسية، وضمّنتها الجمل الفعلية المحكية عن القول؛ لأنّ الأمور غيبية وليست كما هي في الظاهر، فدلّت على الحركة والتجدد، وليس على الدّوام، كما في قوله تعالى:﴿ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴾، ودلّ أسلوب الاستفهام الإنكاري ﴿أَخَرَقْتَهَا﴾؟ على اعتراض النبي موسى على خرق السفينة.

فقد يخرج الاستفهام عن معناه الأصلي – وهو طلب المعرفة- إلى أحد الأغراض، ومنها الإنكار، والاستفهام الإنكاري يأتي مع الهمزة وغيرها، ويكون الشيء المنكر بعد أدوات الاستفهام. [35]

وأكّد على إنكاره بوصف هذا الفعل بالعمل المنكر، فـ" الإمر- بكسر الهمزة-: هو العظيم المفضع " [36]

ويذكّره الخضر بجملة مقول القول الاسمية، في قوله –عزّ وجلّ-:﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾، أي: " إنّك يا موسى لا تطيق أن تصبرَ على ما تراه من علمي؛ لأنَّ الظواهرَ التي هي علمك لا تعطيه، وكيف تصبر على ما تراه خطأ ولم تُخبر بوجه الحكمة فيه " [37]

وكذلك الاعتراضات المتتالية التي جاءت على لسان موسى عليه السلام، ضمّنتها الجمل الفعلية المحكية عن القول؛ لأنّ الأمور غيبية وليست كما هي في الظاهر، فدلّت على الحركة والتجدد، وليس على الدّوام، فالاعتراض الأول: في حادثة خرق السفينة، والتي بيّنتها الآية في قوله – تعالى-: ﴿ فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ

خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴾، وأيضا جاء الاستفهام الانكاري بالهمزة؛ ليدلّ على معاناة النبي موسى النفسية في قوله تعالى: ﴿ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً ﴾ ؟ [38]، فهذا مشهد عجيب !غلام يُقتل هكذا ؟ ما ذنبه ؟ وأيضاً من سمات لغة الحوار في هذه القصة، (أمّا) التفصيلية، وهي: حرف شرط و تفصيل[39]، ولوحظ في هذه الآيات أنّ (أمّا) واقعة بين الإجمال و التفصيل، وهي وسيلة للربط بينهما، وجاءت على لسان العبد الصالح؛ لبيان عجائب القصة؛ ولتأويل تلك الأفعال الإنسانية الصادرة عنه، والتي جاءت عن أمر الله، وهي: (خرق السفينة، وقتل الغلام، وإقامة الجدار)، ومآلها، كما بيّنت الآيات: يقول الله-تعالى-:﴿ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾[40]، فخرقت السفينة؛ ليصير بها عيب، فيزهّد الملك فيها، فلا يأخذها، وبذلك تسلم لأصحابها المساكين.

ويقول – تعالي-:﴿ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا * فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾[41]، فقتل الغلام؛ لئلا يكون سببًا في فتنة والديه حتى يولد لهما من هو أفضل منه.

وقال -عزّ وجلّ-:﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾[42]، فأقيم الجدار؛ حتى يسلم الكنز الذي تحته ولا ينكشف؛ حتى يكبر الغلامان اللذان كان أبوهما رجلاً صالحًا ويستخرجا كنزهما.

إذنَ(أَمَّا) أداة تفصيل وربط، ربطت بين المُجمل والمُفصّل، فتبيّن صلاح سلوك وأفعال العبد الصالح الخفية بعد أن كان ظاهرها مُنكرا وفظيعا.

الخلاصة:

وبعد هذه الدراسة الموجزة حول الدلالات الاجتماعية و النفسية، من خلال تحليل الحوار القرآني في قصة موسى والعبد الصالح- عليهما السلام-، من سورة الكهف، نلخص الآتي:

1- حوار موسى والعبد الصالح، حوار قصصي طويل، في جمل موجزة، وتضمّن هذا الحوار جانبا من الجوانب الثقافية، والممارسات الاجتماعية للمجتمع في ذلك الزمن، مثل: ممارسة الصيد وركوب البحر، و تباين الطبقات الاجتماعية، والإصرار على تلقي العلم والصبر عليه، وفساد النَّشء، واليتم والضعف، والعرف في حفظ الأشياء، ولؤم وشح أهل القرية، وغيرها.

2- تحقق في هذا الحوار القرآني، الانسجام التام للدلالة الاجتماعية مع الدلالة النفسية؛ فكان ذلك الحوار مخبرًا عن صعوبة الأحداث، وتأثيرها في نفس موسى – عليه السلام-.

3- أسهمت الوسائل اللغوية في إظهار الدلالات الاجتماعية، والنفسية، ومنها:

أ- الجُمل المحكية عن القول، فجاءت جُمل مقول القول على لسان العبد الصالح، جمل اسمية؛ لتدلّ على الدوام و الثبوت؛ لأنّ الأمور التي يحيكها أمور قطعية، و أمّا الجمل المحكية عن القول التي جاءت على لسان موسى-عليه السلام- جمل فعلية؛ لأنّ الأمور غيبية، فدلّت على الحركة والتجدد، وليس على الدّوام.

ب- الضمائر لها أثر واضح في بنية النص القصصي؛ فقامت بترجمة دلالات الغائب والمتكلم، والمخاطب، كما عملت على انسجام النص مع بعضه البعض.

ج- الدلالة الصوتية وسيلة لغوية في التعبير عن المقام، والموقف الكلامي، كما في تكرار الصوت في الفاصلة القرآنية.

د- بعض الأدوات والأساليب، كأسلوب النهي، والاستفهام الإنكاري، عبّرت عن السياق النفسي، و(أمّا) التفصيلية جاءت أداة ربط بين المُجمل والمُفصّل.

والله أعلم

هوامش البحث:

1 - مدخل إلى علم اللغة الاجتماعي، محمد عفيف الدين دمياطي، مكتبة لسان عربي، إندونيسيا، ط2، 2017م، ص35.

2 - الخصائص، أبو الفتح ابن جني، تح: الشربيني الشريدة، دار الحديث، القاهرة،1428ه، 2007، 1/ 76.

3- مدخل إلى علم اللغة الاجتماعي، محمد عفيف الدين، ص7.

4- ينظر: علم اللغة الاجتماعي، صبري إبراهيم السيد، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1995م، ص18.

5- ينظر: قراءات في علم اللغة، أحمد شفيق الخطيب، القاهرة، دار النشر الجامعية، 2006م، ص68.

6- الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، مكتبة محمد صبيح، القاهرة، 1390ه، ص7.

7- دور الكلمة في اللغة، ستيفن أولمان، تر: كمال بشر، مكتبة الشباب، القاهرة، د- ت، ص57.

8- علم اللغة الاجتماعي عند العرب، هادي نهر، الجامعة المستنصرية، ط1، 1408ه، 1988م، ص189- 190.

9- هي وسيلة للتعبير عن الحياة أو جانب معين من الحياة يتناول حادثة واحدة، أو عددا من الحوادث بينها ترابط سردي، و يجب أن تكون لها بداية و نهاية. ينظر: إعجاز القرآن الكريم، عبّاس سناء فضل، ط1، د- ت، ص24.

10- سورة مكية، وعدد آياتها: عند قرّاء المدينة ومكة مائة وخمس، ومئة وإحدى عشرة آية عند قرّاء البصرة، ومئة وعشرة عند قرّاء الكوفة، ومئة وست عند قرّاء الشام. ينظر: التحرير، 5-6/ 15، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الألوسي، تح: علي عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415ه، 199/15.

11- سورة الكهف، الآية: (60).

12- سورة الكهف، من الآية: (61).

13- ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1407ه، 2/ 731.

14- ينظر: جدول إعراب القرآن، محمود بن عبد الرحيم الصافي، دار الرشيد، مؤسسة الإيمان، دمشق، ط4، 1418ه، 15/ 229، والكشاف، 2/ 731.

15- ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تح: الفاخوري، دار الجيل، بيروت، ط1، 1411ه،1991م، 2/ 58، والنحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف، مصر، ط3، 2/ 48.

16- سورة مريم، من الآية: (30).

17- سورة الكهف، الآية: (59).

18- تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، مؤسسة التاريخ، بيروت، لبنان، ط1 ،361/15.

19- سورة الكهف، الآية: (63).

20- دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط5، ص35.

21- الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط5، 1976م، ص47.

22- سورة الكهف، الآيات: 59 - 62.

23- سورة الكهف الآيات: (70-72).

24- ينظر: الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله القرطبي، تح: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ط2، 1384هـ، 1964م، 16/11.

25- ينظر: المصدر السابق، و فتح الباري بشرح صحيح البخاري، أحمد بن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، 1379هـ، باب:(حديث الخضر مع موسى عليه السلام)، 6/ 496.

26- التحرير، 15/ 117.

27- ينظر: التحرير،15/ 111.

28- ينظر: جدول إعراب القرآن، 15/ 231، و الكشاف، 2/ 735.

29- سورة الكهف، الآية: (73).

30- سورة الكهف، الآية: (76).

31- تفسير التحرير، 15 /114.

32- ينظر: تفسير الكشاف، 16/ 236.

33- سورة الكهف، من الآية:(81).

34- التحرير،15/ 108.

35- ينظر: موسوعة النحو والصرف والإعراب، لإميل يعقوب، ص 168.

36- التحرير، 15/ 111.

37- تفسير القرطبي ،17/11.

38- سورة الكهف من الآية: (73).

39- ينظر: مغني اللبيب، 1/ 103.

40- سورة الكهف من الآية: (78).

41- سورة الكهف، الآيتان: (80).

42- سورة الكهف، الآية: (81).